



التاريخ: 05/02/2008

الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسلة قوانين القرآن))

((سنن الله في تكليف العباد))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستعديه ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته .

وأستفتح بالذي هو خير **يقول الله تبارك وتعالى** في محكم التنزيل: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (I37) ﴿آل عمران﴾

وقال ربنا: ﴿فَهَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ

تَحْوِيلًا (43) ﴿فاطر﴾

نحن في الخطبة السادسة عشرة من سلسلة ((السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن)).

ومرة جديدة أيها الأخوة في القرآن قوانين تنظم هذا الكون كله من فهمها وعمل بمقدماتها نال نتائجها، ومن تخطاها فإن قوانين الله تعالى غلبة فاستخدموها ولا تتركوها .

ونحن إذا قرأنا القرآن الكريم باحثين عن قوانين الله تعالى في القرآن وعملنا بها سعدنا وأسعدنا، وإذا تركنا هذه القوانين أصابتنا عجلتها .

تحدثنا لماذا هذه السلسلة، وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وفي النصر، وفي الابتلاء، وفي الذنوب والسيئات، وفي الإيمان والعمل الصالح، وفي الظلم والظالمين، وفي الهداية والضلال، وفي الحياة الطيبة والمعيشة الضنك، وفي البقاء للأنفع، وفي ﴿ الصُّلْحُ خَيْرٌ ۖ ﴾ (I28) [النساء]، وفي قوله: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ ﴾ (43) [فاطر]، وفي قوله: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (I32) [طه]، وفي القوانين والسنن الإلهية في رزق العباد

وعنوان خطبة اليوم : ((السنن الإلهية في تكليف العباد)) .

أيها الأخوة: الشريعة الإسلامية مجموعة تكاليف، مجموعة أوامر ونواهي لمصلحة العباد تنظم حياة الناس .

وقد عرف العلماء التكليف فقالوا : هو طلب الشارع ما فيه كلفة ومشقة من فعل أو أمر . كلفتك أمراً إذا طلبت منك شيئاً فيه كلفة فيه مشقة .

الصوم فيه كلفة وفيه مشقة، الصلاة فيها كلفة وفيها مشقة، حجاب المرأة المسلمة فيه كلفة وفيه مشقة، ترك الخمر فيه كلفة ومشقة، ترك الربا فيه كلفة ومشقة، ترك أكل الحرام فيه مشقة وفيه كلفة، وهكذا سائر التكاليف

التكليف: هو طلب ما فيه كلفة ومشقة، والشريعة مجموعة تكاليف لكي وجدت في السنن الإلهية في التكليف ثلاث سنن هي مادة هذه الخطبة .

السنة الأولى : تكاليف الله تعالى للعباد فيها مصلحتهم في الدنيا والآخرة.

لا يكلفك الله تعالى بشيء أمراً أو نهياً إلا وفي هذا الشيء مصلحة لك فرداً أو مجتمعاً في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما .

قال الله تعالى: ﴿ طه (I) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) ﴾ [طه] مفهوم المخالفة أنزلنا عليك القرآن لتسعد كل تكاليف القرآن لسعادتك .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) ﴾ [الذاريات]

قال المفسرون في تفسيرها: إلا ليسعدوا بعبادتي .

كل العبادات لسعادتك، كل التكاليف مصلحة لك، واتفق العلماء على أن الشريعة الإسلامية كلها وضعت لجلب المصالح للعباد ولدرء المفاسد عنهم .

((يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً 000 يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)) [مسلم وابن حبان]

فما كلفك الله تعالى بشيء إلا وفيه مصلحتك وما نهاك الله تعالى عن شيء إلا لأن فيه مفسدة لك.

الصوم مثلاً أيها الأخوة في العالم اليوم توجه جديد هو أحدث التوجهات الطبية نحو طب يسمونه الطب البديل إذ إن مخاطر الأدوية الكيماوية باتت كثيرة وكبيرة ويتجه علماء الصحة نحو

طب لا دواء كيميائياً فيه وإنما يعتمد على الأعشاب الطبية أو يعتمد على الإبر الصينية أو يعتمد على المعالجة بالماء أو على المعالجة بالرمال ومن أهم أركان الطب البديل المعالجة بالصوم .

بل إن الأطباء يقولون الصوم ضرورة من ضرورات الحياة لا تستقيم حياة الإنسان بغير صوم.

لذلك تجد اليوم رجالا ليسوا مسلمين لكنهم عقلاء يصومون...

تجد اليوم رجالا من اليهود يصومون كصيامنا ،لأن في الصوم صحة ،لأن الصوم اليوم ضرورة من ضرورات الحياة ،تجد أناساً علمانيين لا دينين يصومون ،لأن الصوم ضرورة من ضرورات حياة الإنسان السوي ،بل إن الأطباء يقولون الصوم ضرورة من ضرورات الحياة ...

وهناك مشافي في العالم اليوم تعالج بالصوم وهناك مؤلفات شرقية وغربية إسلامية وغير إسلامية تحدثك عن أهمية الصوم وفق الشريعة الإسلامية وتثبت أن الصوم وقاية وشفاء لكثير من أخطر أمراض العصر .

كتب البرفسور نيكولايف بيلوي من موسكو -لا ديني الرجل- كتابا سماه الجوع من أجل الصحة قال فيه :

إن على كل إنسان وخاصة سكان المدن الكبرى أن يمارس الصوم بالامتناع عن الطعام لمدة ثلاثة إلى أربعة أسابيع كل سنة كي يتمتع بالصحة الكاملة طيلة حياته .

الصوم تكليف فيه مشقة لكنه لك لمصلحتك ،كل تكاليف الشرع لك .

كتب الدكتور دوي من بريطانيا ليس مسلماً كتاباً سماه الصوم الذي يشفي .

كتب الدكتور لودزرنر من فرنسا ليس مسلماً كتاباً سماه العودة إلى حياة سليمة بالصوم .

وعشرات بل مئات كتب الطب تحدثك عن مصالح كبيرة تجنيها من الصوم .

فالصوم تكليف إلهي لا يخلو من كلفة ومشقة لكن فيه مصلحتك في الدنيا والآخرة، وهذا مثال تكاليف الله لعباده هي لمصلحتهم في الدنيا والآخرة .

الزكاة مثلاً، مثال ثان فيها مصلحة لآخذها، وفيها مصلحة لدافعها في الدنيا وفي الآخرة .

في نهاية القرن الماضي كتبت صحيفة نيوزويك الأمريكية تقريراً عنوانه أكثر خمس متبرعين في العالم .

في ذلك العام الذي كتبت فيه نشرت فيه العدد كان أكثرهم بل كلفت تبرع يومها بمليار دولار خلال عام وذلك قبل تبرعه بثروته كلها وذكرت أربعة آخرين أقلهم تبرعاً تبرع بنصف مليار دولار في ذلك العام .

ثم راح التقرير في تلك المجلة يحلل لماذا تبرع هؤلاء؟ هل للبحث عن الأجر والثواب؟ هل للتهرب من الضرائب؟ هل يبحثون عن الدعاية والشهرة والإعلام عبر هذا التبرع ؟

كان الجواب لا هذا، ولا هذان ولا ثالثها، لكن خبرائهم الاقتصاديين لهؤلاء الخمسة أخبروهم أن تجمع الثروات بأيدي أشخاص معينين أو مؤسسات معينة أو حتى دول معينة يؤدي إلى ركودة اقتصادية في العالم وبالتالي يعود عليهم بالضرر المادي ، وإن أفضل طريقة لزيادة ثروتك أن تلقي في السوق كثيراً من الدولارات لذلك تبرع هؤلاء الناس بهذه المليارات لأجل أن تزداد ثروتهم وبالفعل كان يومها ميزانية بل كست ستين مليار دولار في العام الثاني صارت ميزانيته تسعين مليار دولار .

الزكاة تكليف إلهي لمصلحتك أنت ولمصلحة المجتمع وهكذا كل التكاليف الإلهية تكاليف فيها مصلحتك في الدنيا وفي الآخرة وهذا مثال ثان .

وإليكم المثال الثالث: الفوائد البنكية حرام هي من الربا المحرم وتحريمها تكليف من الله تعالى والتكليف لا يخلو من مشقة ومن كلفة لكن هذه التكاليف لمصلحتك تحريم الفوائد البنكية لأجلك

أنت لمصلحتك ،وأحدث الدراسات الاقتصادية اليوم تقول: إن أفضل بنك في العالم هو البنك الذي تكون فيه سعر الفائدة صفر ،يعني ما في فوائد بنكية يعني لا يوجد ربا ،فقد بان للاقتصاديين أثر إضرار الفوائد البنكية في الحركة الاقتصادية .

في عام 1990 حصلت في اليابان ارتكاسة اقتصادية كبيرة و وجد خبراءهم الاقتصاديون أن الحل، حل أزمة البلد كله يكون عن طريق جعل سعر الفائدة في البنوك صفر .

في عام ألف 1990 كان سعر الفائدة في اليابان 7,7، في عام 1991 بدأوا بتنزيل سعر الفائدة صار سعر الفائدة ،7,4 في عام 1993 صار سعر الفائدة ثلاثة بالمئة، وهكذا تدرجوا حتى وصلوا في عام 2003 إلى جعل سعر الفائدة في البنوك عندهم صفر بالمئة فنجا الاقتصاد الياباني من الانهيار .

تحريم الربا لمصلحتك أنت لمصلحتنا نحن فيه كلفة ومشقة لكن كل تكاليف الشرع لأجلك أنت ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿58﴾

[الذريات]

يا أيها الأخوة مثل حديثي عن الصوم وعن الزكاة وعن الربا بإمكانني أن أحدثك عن الصلاة وعن صلة الأرحام وعن بر الوالدين وبإمكانك الحديث عن غض البصر وعن حجاب المرأة المسلمة

كل هذه التكاليف لك ولنا وللمجتمع الذي يطبق شرع الله .

بإمكانك أن تتحدث عن فوائد منع الاحتكار، ومنع الغرر، ومنع التدليس، عن فوائد الأمانة، وعن فوائد الوفاء بالوعد، عن فوائد رعاية الأيتام، وعن الحج، وعن الزواج، وعن الطلاق، وعن تطبيق الحدود الإسلامية، وعن الجهاد في سبيل الله ...

كل التكاليف الإسلامية فيها مصلحة لك وللمجتمع في الدنيا وفي الآخرة وهذه هي أول سنة من سنن الله تعالى في التكليف كل تكاليف الله لمصلحتك.

السنة الثانية في تكليف الله للعباد: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ۝ (286)﴾ [البقرة]
مستحيل أن يكلفك الله تعالى فوق طاقتك لا تصدق أن الله يكلفك فوق قدرتك كل التكاليف صغيرها وكبيرها في قدرتك في استطاعتك في وسعك .

جاءت هذه السنة الإلهية في ستة مواضع في القرآن الكريم ستة مرات الله يقول يا عبدي أنا لن أكلفك إلا بما تطيق .

قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ۝ (286)﴾ [البقرة] هذه في سورة البقرة .

وقال: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ۝ (286)﴾ هذه في الأنعام وفي الأعراف وفي المؤمنون .

وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ۝ (286)﴾ [البقرة] هذه في البقرة .

وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ ۝ (7)﴾ [الطلاق] هذه في الطلاق.

اتفق العلماء على أنه ليس في الشرع تكليف بما لا يطاق بل كل تكاليفه ضمن الاستطاعة وضمن الوسع والقدرة .

ولما دعا المؤمنون ربهم كما في سورة البقرة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ ۝ (286)﴾ [البقرة]

قال الله عز وجل: لا أحملكم .

وفي رواية عند الإمام أحمد قال: نعم، وفي رواية عند الإمام مسلم قال: قد فعلت، إذا لا يقبل من مسلم أن تدعوه إلى غض البصر ثم يقول لك لا أستطيع ...

لا يقبل من تاجر أن تدعوه إلى عدم الكذب في تجارته فيقول لك: لا يمكن تجارة بدون كذب...

لا يقبل من موظف أن تقول له يا أخي لا تأكل رشوة حرام فيقول: إذا أنا لا أعيش بدون الحرام...

كل التكاليف ضمن القدرة وضمن الاستطاعة وضمن الوسع وستة مرات في القرآن الكريم أعادها الله تعالى .

وقد ذكر علماء التشريع الإسلامي أن أسس التشريع الإسلامي ثلاثة، يعني لو أنك قرأت كل آيات القرآن وكل أحاديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكل المادة الفقهية في الشريعة لوجدتها تقوم على ثلاث أسس . أولها: رفع الحرج .

الله لا يحررك أبداً، ولا يضعك في خانة ضيقة تحتنق بها أبداً، ولا يوقعك في مزلق لا تستطيع الخروج منه أبداً .

أساس الشريعة رفع الحرج، بالعكس إذا كنت محرراً فك الشرع عنك حرجك، أساس الشريعة رفع الحرج وقلة التكاليف والتدرج في التشريع ، وما هذه الثلاثة إلا تكليف بالمستطاع وترك للمشقة والحرج .

فالصلاة مثلاً مفروضة على المسلم وفيها قيام مع القدرة، لكنك إذا كنت لا تستطيع القيام وتصاب بحرج وألم محقق شديد قال الله تعالى لك: يا عبدي لا تقم صل وأنت جالس أنا لا أريد أن أخرجك، وإذا كنت لا تستطيع أن تصلي جالساً قال: لا بأس يا عبدي أنا لا أريد أن أوقعك في حرج صل وأنت مستلقي ..

الصوم إذا كنت لا تستطيع أن تصوم، قال الله تعالى: يا عبدي ما في مشكلة إذا كنت مريضاً في رمضان أجل الصيام إلى ما بعد الشفاء، إذا قلت: يا رب المرض مزمن لا أتعاف منه أبداً، قال: ساحتك بالصيام تحول منه إلى الفدية، ادفع عن كل يوم طعام مسكين، إذا كنت فقيراً لا تملك قال: أنا ساحتك بالمال .

الحج قال: ل ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۝ (97)﴾ [الحج]

الزكاة قال لمن ملك النصاب .

النفقة على الزوجة والأولاد قال: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا

آتاهُ اللَّهُ ۝ (7)﴾ [الطلاق] وهكذا سائر التكاليف كلها لرفع الحرج عنك .

لا يريد الله أن يحرّجك أبداً، بل إن من القواعد الفقهية العريضة أن: المشقة تجلب التيسير، إذا تعرضت لمشقة كبيرة بسبب حكم فقهي وهذه المشقة محققة، هذه المشقة تجلب لك تيسيراً، بمعنى أن الصعوبة الشديدة التي تصادفك في شيء تكون سبباً باعثاً على تسهيل وتهوين ذلك الشيء .

من هنا أباح للمضطر أكل لحم الميتة، المضطر الذي لا يجد طعاماً أبداً، مع أن لحم الميتة حرام، لكن الله قال: يا عبدي أنا لا أريد أن أزهدك روحك إذا اضطررت بحيث كدت أن تموت وما في طعام إلا لحم الميتة كل يا عبدي .

المشقة تجلب التيسير ومن هنا صح تصرف القاضي في مال الغير حال غيبته و وجوب ذلك عليه لو كان رجلاً قد غاب، الأصل في الشريعة لا يتصرف أحد إلا في مال نفسه أو مال وكيله، من وكله موكله، لكن ماذا لو غاب إنسان غيبة لا نعرف أين هو ولا متى يعود واحتاج أناس،

وجب عليه دفع مال لأناس والرجل غائب وهؤلاء الناس سيقعون بحرج شديد، قال الله، أذن الله والشرع لهذا القاضي أن يتصرف في مال غيره دفعاً للمشقة عن العباد .

بل إن جميع الرخص في الشرع وإن جميع تخفيفات الشرع تتخرج على هذه القاعدة المشقة

تجلب التيسير وأصل هذه القاعدة في كتاب الله ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ

﴾ (I85) [البقرة] فلا يقل أحد أنا عسير علي أن لا أكل الحرام أبداً هذا قول من الشيطان يزينه

لك، تكاليف الله ضمن الوسع وأصل هذه القاعدة قول الله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ۝ (78)﴾ [الحج]

وأصل هذه القاعدة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا)) [البخاري ومسلم]

ومثل قاعدة المشقة تجلب التيسير هناك قاعدة تقول: الأمر إذا ضاق اتسع .

وهكذا أيها الأخوة تكاليف الله تعالى للعباد كلها في وسعهم وفي مقدرتهم .

الصلاة ضمن الوسعة والمقدرة ،حجاب المرأة المسلمة، الصوم ضمن الوسع والمقدرة،ترك

الخمر ،أنت تستطيع ترك الاختلاط أو غض البصر، تستطيع ترك الكذب تستطيعه ..

وسائر التكاليف الشرعية من تروك وأفعال كلها في وسع الإنسان وطاقته، وليس صحيحاً ما

يدعيه بعض المسلمين أنه لا يستطيع التزام بعض الأعمال المفروضة أو لا يستطيع ترك بعض

الأعمال المحرمة .

تقول له: غض بصرك عن الحرام يقول: لا أستطيع ..تقول له: دع الحرام في معاملاتك

التجارية يقول: لا أستطيع ،تقول: لها ارتدي اللباس الساتر المحتشم تقول لا أقدر ...

تقول له: حافظ على صلواتك، قم على صلاة الفجر نحن لا نراك، يقول: لا أستطيع يا أخي لو ضربت عند أذني مدفع لا أستيقظ، لا يا أخي لو قلنا لك عند الفجر هناك صفقة ستربح منها خمسمائة ألف ليرة سورية والله لن تنام تلك الليلة وسيستيقظ دون مدافع، تقول له: دعنا نراك في مجالس العلم في المسجد، يقول: أتمنى لكن لا أقدر البرنامج كله ممتلئ ...

هذه الكلمات أيها الأخوة لا أقدر لا أستطيع، ليس في وسعي، ليست صحيحة وهي من إيهام الشيطان للعبد ليستمر في خطئه وليستمر في بعده عن الطاعات ..

ذلك لأن التكاليف الشرعية كلها في قدرة الإنسان ووسعه واستطاعته إذ

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ۝ (286)﴾ [البقرة] و﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ ۝

(7)﴾ [الطلاق] و هذه هي السنة الثانية في تكليف العباد .

السنة الأولى : كل التكاليف لمصلحتك .

والسنة الثانية : لا يكلفك الله تعالى إلا باستطاعتك .

السنة الثالثة والأخيرة: وهي التي تفرح قلبك وتفرح قلوبنا جميعاً :إذا كلفك أعانك .

والله ما من تكليف تؤمر به إلا وتعطى من المعونة على قدر عملك .

اعلم أيها الأخ أن الله تعالى إذا كلفك بأمر أعانك عليه، وهذا من رحمته جل جلاله بك والمعونة على قدر التكليف، فإذا عظم عظمت، وإذا زاد زادت، ونحن نقرأ كل يوم في سورة

الفاتحة ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)﴾ [الفاتحة]

ولما كلف الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا هارون بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى الحق وفرعون وما أدراك ما فرعون، فرعون الذي طغى وتجبر، وقال أنا ربكم الأكبر وموسى ذاك العبد الضعيف من حاشيته، من بسطاء حاشيته .

موسى الضعيف أمر كلف أن يذهب إلى فرعون، يومها خاف موسى وهارون من الذهاب إلى فرعون وحق لهما الخوف، سيبتش بهم، سيقتلهم، سيسحقهم، سيخفيهم عن الأرض .

يومها قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي

مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى (46)﴾ [طه]

إذا كلفك أعانك، سيكون معك، وبالفعل كان الله مع موسى ومع هارون نجيا من فرعون وحق بفرعون سوء العذاب فربنا إذا كلف عبداً أعانه . لا تخف ما إن أمرك بأمر سيعينك عليه .

ولما أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم وإسماعيل ببناء الكعبة، المسجد الحرام وفعلا قال بعدها لإبراهيم: يا إبراهيم أذن بالناس بالحج، كيف سيصرخ إبراهيم، أي مكبرات للصوت سيستخدم، أي أفنية فضائية، أي شبكة للانترنت سيتصل بها في العالم كله .

قال إبراهيم: يا رب وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم، قال الله لإبراهيم ناد وعلينا البلاغ، أنا سأعينك يا إبراهيم، بل أنت افعل، وفعل إبراهيم ونادى ولبي الناس كلهم، وكل من كتب عليه الحج حتى الذين في أصلاب آبائهم وأمهاتهم . فالله إذا كلف عبداً أعانه .

وهكذا حدث مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا حدث مع سيدنا موسى وعيسى ويوسف ويونس وإلياس وإدريس .

وهكذا سيحدث معك إذا التزمت أوامر الله أيها الشاب المسلم ،ابدأ الآن بغض البصر سيعينك ،أيها التاجر المسلم لا ترتكب الحرام سيعينك ،أيها المرأة المسلمة قولي بأنك ستلتزمين الحجاب الإسلامي سيعينك...لأن الله تعالى إذا كلف عبدا أعانه .

الشاب الباحث عن الزواج بالحلال لعله يقول في لحظة: يا أخي الحلال صعب جداً: في هذه الأيام الحلال مستحيل: كيف سأؤمن داراً؟ كيف سأؤمن نفقة؟ متى سأتزوج؟ الآن عمري 28 سنة، لا تخف استمر في الحلال وفي بحثك عنه لأن الله إذا كلفك أعانك .زوج قبلك المليارات وسيفعل ذلك بك ولا تدري متى سيأتيك فرجه.

التاجر الباحث عن الرزق الحلال التارك لصفقة تأتيه بالحرام معان، لأن الله كلفه بالحلال سيعينه .

المجاهد في سبيل الله معان، تتفطر قلوبنا لإخوتنا في غزة، للمسلمين في العراق، نتألم لما يحدث في ديار المسلمين ..

لكن يا أيها الأخوة إن المعونة تأتيهم من الله بقدر ما ينزل بهم من هذه الشدائد لأنهم كلفوا بالصبر،وبالمناسبة نحن مكلفون أيضاً بمعونتهم .

المجاهد في سبيل الله معان ،المحافظ على حدود الله معان ..

المنضبطة بأوامر الله معانة ،الإنسان الذي يريد أن يحفظ القرآن معان ،المسلم الذي يجتهد أن لا يقع في الحرام معان ..

وقديماً نادى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه :

الهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا

[البخاري و مسلم]

يا أيها الأخوة هذه هي السنن الإلهية الثلاثة في تكليف العباد :

1. تكاليف الله تعالى فيها مصلحتك في الدنيا والآخرة .

2. لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

3. إذا كلفك أعانك .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين , أستغفر الله